إيليا هرنبورغ

مصنع الأحلام

ترجمة: فجر يعقوب



مصنع الأحلام

مصنع الأحلام

تأليف: إيليا هرنبورغ

ترجمة: فجر يعقوب



الناشر: دار كنعان

للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية

دمشق – ص. ب 443 هاتف: 2134433 (11 - 963 +)

فاكس: 3314455 – 2134433 (11 - 963 +)

E-mail: said.b@scs-net.org

الطبعة الأولى: 2008 / عدد النسخ 1000

إخراج: لبنى حمد

يمكن الاطلاع على كتب الدار ومنشوراتها

على صفحة الشبكة التالية:

http://www.furat.com
http://www.neelwafurat.com

إيليا هرنبورغ

مصنع الأحلام

ترجمة

فجر يعقوب

كان فيه أدولف يملك خدوداً متوردة وعيوناً حالمة. ولكن ما هو المغزى من استعادة الماضي؟

تزوكور مشغول جداً، وعندما يستريح، فإنه يلعب البريدج، أو يطيّر طابة التنس بالمضرب، أو يتمشى في ملاعب الغولف. والآن هو يعمل.

نجاح الأخوة وارنر سوف يكون مؤقتاً ولفترة قصيرة، ولن ينتصروا على بارامونت إطلاقاً.. وهكذا إلى العمل..!!

في إنكلترا عندنا بلازا وكارلتون. في لندن رويال مانشستر فوتوريست وسكالا في برمنغهام..

تحت القبة الزجاجية لا يتوقف العمل أبداً.

يحارب الممثلين. وهؤلاء إذا أردتم الصدق يعانون من الإرباك، فالمداخيل الكبيرة لا تكفيهم. يريدون عمل أفلام بمفردهم، وهذا يدعو المحتال وليام ماك آدو (قريب ويلسون) إلى التكفّل برغباتهم. وإذا ما أراد الممثلون عمل أفلام، فما الذي سيفعله أدولف تزوكور؟!

لا.. لا.. تزوكور لن يتنازل.. لا.. ها هو قد استولى على غريفيت وسحبه من يونايتد أرتيست. والهاجس الأساسي أن تتوفر صالات العرض قدر الإمكان. وللاستيلاء على ممتلكات أولئك الصغار لا يكفي أن تعمل أفلاماً. يجب أن تعرضها. ماركوز لويف فخور بطول الشريط المصور، وأدولف تزوكور مع زيادة عدد الأمكنة في المسارح السينمائية سوف ينتصر على الجميع.. الممثلين.. الجمهور.!!

تزوكور ينتصر على عجالة، فهو لديه رأس بطريرك توراتي، وقلبه يعود إلى الفتى داوود. تحت الشبابيك تقرع الطبول. هؤلاء هم المحاربون الذاهبون إلى الموت.. الشفاه الرقيقة لتزوكور مزمومة.. ولا كلمة واحدة بعد الآن.. تزوكور يذهب نحو النصر.

أناس بخيال مشتعل يكتبون إلى النجوم رسائل يتحدثون فيها عن الفن العظيم وعن عزلتهم، ويترجون فيها الحب وتوقيع الأفتوغرافيات، ولدى بارامونت خدمة خصوصية، مراسلة مع المغرمين بالنجوم والهدف: إيقاظ وتكبير الاعتراف بهم.

بلاتوهات بارامونت تقع على مساحة 10 هكتار..!! كل أسبوع أكثر من 120 مليون متفرج يشاهدون أفلامها.. بيض.. صفر.. زنوج.. موظفون ووزراء.. والبشرية بأسرها تشاهد أفلام بارامونت.

السيد تزوكور يوقع مواعيده، لكنه لا يتذكرها. يقول وهو يبتسم: أنا أعمل بمبادئ تجارية.. تستغربون نجاحي في كل شيء؟ أنا نفسي أستغرب.. صدقوني.. لكن ما الذي تريدونه..؟ - الحظ..

آلات التصوير «تطقطق»، والسيد تزوكور لديه ابتسامة ساخرة ملائمة للتصوير.

المعمدانيين والمنهجيين من الخطيئة. ليفكر السيد هيس بهذا.. البطالة سوف تنتهي يوماً ما. ومن كل هؤلاء الذين يبيعون تفاحاً في برودواي، البعض منهم سوف يمحق، والبعض الآخر سوف يثرى.. وأما الملايين الباقية سوف تمضي مجدداً في طريق المعامل والمصانع.

هكذا.. خلال النهار يدور دولاب الحياة.. ومساءً.. سينما.. هكذا هو قانون الخلق..!!

تزوكور، فوكس، ليون، وكل الآخرين ينصتون بانتباه. كم هو عقلاني هذا الذي ينطق به؟

بماذا يختلف هذا «القانون» عن الوصايا العشر؟ يتذكر أدولف تزوكور سنوات طفولته المدرسية - هذا المخالف بالعقيدة يملك خميرة حاخام جيد. وهو قد أنهى شغلة مهمة!! فالمائة ألف دولار التي تعود لنا لم تُرمَ في الهواء. وفي ريسي ثمة (شابز غوي) لكل يهودي جيد. وفي كل يوم سبت (شابز غوي) يحفر الماء، ويشعل النار. وبكلمة واحدة، يعمل مكان اليهودي الطيب، وفي رابعة النهار يحصل على قطعة نقدية واحدة (كورونا). طبعاً المائة ألف دولار تظل شيئاً مختلفاً، لأن السيد هيس ليس (شابز غوي) عادياً..!!

اسمعوا فقط.. يتكلم مثل رئيس، ويملي «قوانينه الأخلاقية»، إنه يعرف كل شيء، وكل شيء ممكن، فهو ليس إنساناً، بل كنز..!!

يرجع هيس إلى أمريكا وقد حفظ ابتسامة المنتصر، وليتكلم الفرنسيون عن حلٍّ وسط، طالما إن هذا يدخل الفرح إلى قلوبهم. نحن سوف نشتري العشرات من أفلامهم، وليتم اختيار الأسوأ. ولتعرض في دور غير مهمة. وللفرنسيين وفرنسا: عفواً – نحن نشتري بضائعكم..!! ولتزوكور وفوكس: لقد ارتفع السعر من بيع أفلامنا في فرنسا هذا العام إلى 425000 دولار. ولكل مواطني الولايات المتحدة الأمريكية: «هيس أورغانزيشن» أقوى من كل الوزراء. نحن نؤمن خبز 400000 أمريكي. انتاجنا يباع بشكل ممتاز، ونحن نساعد في ذلك النشاطات التجارية الأخرى. والرئيس هوفر على حق عندما يقول: «في البلاد التي تظهر فيها الأفلام الأمريكية، سوف نبيع فيها السيارات الأمريكية بأعداد مضاعفة، وأجهزة أسطوانات أمريكية، وجلود الفراء الأمريكية»، سوف نفرض على أوروبا أن تفكر بطريقتنا، وذلك الـــ«اريو» لن يحظى بأي امتياز. وعندما يذهب أبناء المقترعين له إلى دور السينما سوف يفهمون أن جهاز التليفون سيسبب لهم الإثارة أكثر من السيدة ريكامييه، وأن «ضجيج» أوراق البنكنوت الخضراء سوف يخنق كل الأصوات في غابات النورماندي.

الفرنسية، الألمانية. من أجل عمل أقمشة جيدة يستورد الإنجليز القطن من أمريكا، ونحن سوف نستورد خاماتنا. سوف نقتاد من أوروبا ممثلين من لحم ودم، وسوف نعيد لأوروبا هذه الصناعات معكوسة. وهذا سيكلف غالياً، ولكن ليس هناك مخرج آخر، فكل اختراع يحمل في داخله عذاباته. وبمقابل هذا سوف ننقذ السوق. سوف نصبح مستشارين روحيين لأوروبا الساذجة..!! سوف نخفي التباينات، وبنفس الوقت سنربح المال.

وبتهذيب يفترق عن تزوكور، يسافر السيد كين إلى أوروبا. الاثنين: لا يعتقد بإمكانية رجوعه قريباً. الثلاثاء: سوف يبقى لبعض الوقت في باريس. الأربعاء: يضبط مزاجه. الخميس: يتبضع.. قلوب الفرنسيين تنبض من الابتهاج.

مرة أخرى تنتصر باريس. باريس عاصمة العالم، مشعل الحرية. مهد الحضارة..!!

بعد مضي الوقت نقلت الصحف بعض الأخبار المختصرة في باريس، في جوانفيل، «باراmونت» تؤسس هووليود جديدة - هووليود للأوروبيين..!!



مستعد للركوع على ركبتيه. لا يوجد تحت (السقف) المقدس خطيئة، أو إغواء، يوجد فقط الرأفة والعطف.

الأسهم A، عادية – 8 مليون مارك: الأسهم B مع التصويت للمرة الثالثة – 3 مليون مارك. السلسة B، مثل جزء من السلسلة A، بين أيدينا. المجموع 93 بالمائة من الأصوات. استطاعة الفكرة محفوظة. الربح الصافي تجاوز 14350000 مارك.

هوغنبرغ يرحب بالمحاربين القدامى، والأطفال يرحبون بهيندنبورغ. رايات. موسيقى. جماعة فيبر، وجماعة ميولر يتنفسون الصعداء: ما من طريق أخرى، فالحرب ضرورية.. هكذا هي الحياة..!!

«أوفا» لم تقم بإضرابات من أي نوع، وليس لديها عاطلين عن العمل، وما من أوضاع مزرية. الرحمة الخجولة للأمة والنفخ بالأبواق من قبل النبلاء – وشخصياً، يقوم المستشار السري بتكرير نفس الكلمات التي قالها قبل عشر سنوات: .. إبداعات شعبنا.. الحب القديم للأسلحة الألمانية.. مر وقت طويل على ذلك. وفيما بقي البعض مجرداً من الحظ، وظهر تحت رحمة فيرديون. ظهر الآخرون وأخذوا ينفخون الترومبيتات الكرتونية في معامل «أوفا».

لماذا يمس كل هذا المستشار السري، وحياته سلسلة من النجاحات؟! لا شك إنه يملك كل الحق في أن يكرر: «عينا قيصر مسمرتان فينا». لقد انسحب القيصر منذ زمن بعيد من النشاط السياسي، فهو يكتفي بمشاهدة سماء هولندا الشاحبة. والذي كان يحدق في الجمهور بدلاً منه هو عين الإمبراطور الجديدة.. العين المرشدة: ألفريد هوغنبرغ.

الفرنسيين، وقاموا بطلي بيوت النساء اللواتـي أبدين انجذاباً نحوهـم بالقطران، وما من أحد خطر بباله أن يحضر سطلاً من القطران ليطلي «خيمة أوفا»، المؤسسة الدولية صاحبة الشهرة العالمية والروح الألمانية الصافية. وبسرعة فائقة فبرك المصورون (نظرة) - تحرير منطقة الراين.. ما من زجاج محطم، ما من قطران.. فقط ورود وترومبيتات وابتسامات..

حقوق الفتية في الحلم.. ليس من أجل السلطة والمال، بل من أجل حب كبير فقط، ذلك الحب الذي يحرك النجوم ويستثير الدموع من أجل ألمانيا وحلمها المستقبلي ورايتها الموجهة، المستشار السري ألفريد هوغنبرغ..!!

V

ما هذه السينما؟

أسبوعياً وعلى مدار القارات الخمس ثمة 300 مليون يشاهدون سينما، وهم يعرفون ما الذي تعنيه هذه السينما. قبل كل شيء – السينما، هي الحب، وخلال سنة واحدة استطاع الجمهور أن يشاهد: حب على الشاطئ – حب غجري – حب بين الثلوج – غراميات بيتي باترسون – حب ولصوصية – حب وموت – الحب سيد الحياة – الحب الأعمى – حب الممثلة – حب اكزوتيكي – الحب والشبح – حب وضّاء – حب دموي – عندما ينادي الحب – حب الأعداء – حب جانا يني – غراميات راسبوتين – غراميات امرأة – شرف وغرام – الحب هو الحب – حب في الصحراء – حب ومال – غراميات كازانوفا – حب كارمن – الحب الكبير – من أجل ليلة حب – حب الجلاد – طبيب القلوب – الحب الأول لفاني – آخر حب لشوبان – أضواء الحب – قلعة الحب – قبر للحب – جزيرة الحب – قناع الغرام – كرنفال الحب – سوق الحب – الحب المدمر – عندما يموت الحب – آلهة الحب – أعراض الحب – الحب المقيد – لعبة الحب – ضباب غرامي – أغنية الحب – قصة الحب – حبي – عشاق من هووليود – العشاق والصليب – عشاق في قاطرات النوم – غراميات الفتى الأشقر – أن تحب يعني أن تعيش – أنت لا تعرف الحب – الحب حتى النهاية – أحبك – أحبها – هاري يحب الشقراوات – إذا لم تكن عاشقاً، نحن عاشقون.

في هووليود يعيدون قوننة هذا الجمال - فالمسافة بين العينين يجب أن تكون متساوية بين العين والعين، ونهاية الأذن العلوية يجب أن تكون على نفس المستوى مع الجبين. السينما هي النجوم. دولوريس ديل ريو استعانت بسهمين بيضاويين، وكولين مور أخذت تعبد ذكر الوعل الصغير الذي تعيش معه.

ديفيد سارنوف يبتسم كعادته، وما من أحد يعرف المسافة بين عينيه، أو حقيقة أذنيه، فقلبه مطمئن، قلبه بالنسبة إليه كأس عادي، فهو ليس لديه سهام أو ذكور وعول صغيرة، فهو يتاجر بالتراخيص فقط. الأرض مقسمة. «ريديو كوربوريشن» تعمل من أجل تملك التلفزيون في الصناعات الضرورية.

ديفيد سارنوف يبتسم. «ريديو كوربوريشن» تدفع إلى الأسواق بأسهم جديدة. ما هي السينما؟.. السينما كهرباء..!!



يعرف أنه كان يمكنه النجاح على الدوام، فهو ينتج في فرنسا أفلام باتي كوداك بوصفها بضاعة فرنسية ينتجها فرنسيون، والقانون بطبيعة الحال محفوظ، لكن الأرباح له. طبعاً سيحاول الألمان اتخاذ إجراءات احتياطية، وبدا كما لو أنهم وصلوا إلى أهدافهم، فقد بدأوا محادثات صعبة لشراء الشركة الأمريكية «أنسكو»، وبدأوا بناء مصنع للأفلام السينمائية في أميركا، وهم لن يدفعوا تعريفات جمركية كبيرة، وسوف يؤمنون عملاً لآلاف العاطلين عن العمل. حقاً كم هو مفرح أن تصنع شريطاً ملوناً في الضوء الأخضر الغامق، أكثر من أن تبيع التفاح وأنت بمعدة خاوية تحت أضواء برودواي الساطعة..!؟



الابتدائية، والإعدادية، والوثائقية، وفي النهاية أفلام الطاعنين في السن، وكلها تحمل عناوين تجد ضالتها في الترفيه أولاً والترفيه آخراً.

ولنفترض جدلاً أن «باتي - بيبي» مجرد عمل فارغ، فإن السيد ناثان لا يفكر بـ«بوبيت»، ولا يفكر حتى بـ«الأقنعة الثلاثة»، ففي حقيبته يوجد ما هو أهم.

ولكن لماذا يقدم نفسه على أنه متواضع؟ السيد ناثان يجهز لشراء الشركة الألمانية «اميلكا».. دور عرض ضخمة في هامبورغ، ميونيخ، لايبزيغ، كويلون، وهو يدخل مثل فاتح إلى ألمانيا، فاتح بهيئة رجل متواضع ومطأطئ الرأس الذي يحمل الكثير من الأفكار الخلاقة. مطر خريفي متواصل، وهو يتلفع بمعطف المندوب المعتم للصناعة السينمائية، وهو ما يزال على حاله بانتظار الهواة، ولكن الشوارع مقفرة، فما من نجوم، وما من زبائن.. ووحده السيد ناثان يتقدم بخطى واثقة نحو النصر.

تدور الآلة ويدور الزمن معها.. السيد ناثان يبتسم، فمن يدري؟ ربما يشتري اميلكا.. الشريط السينمائي يدور والزمن يمر. هذا فيلم ممل جداً، سينتهي بالتأكيد نهاية جيدة..!!

الفهرس



146	مائة سونيتة حب	بابلو نيرودا
147	لولا النهر والمرايا	ثامر مهدي
148	المطعون بشرفهم	وفيق يوسف
149	الحياة سابقاً	حسن عبد الرحمن
150	الباب المفتوح	ت. ناضر ونوس
151	أصل الطيور	مجموعة
152	المسيح في الجولان	تيسير خلف
153	تاريخ الخليج العربي	جبارة البرغوثي
154	المشروع الحضاري العربي الإسلامي	د. برهان زريق
155	في عشق جيفارا	آنا ميناندس
156	الجنك	سمير طحان+انطوان طحان
157	التعقيد	ت. فيصل دراج
158	الانقلاب الكبير	روجيه غارودي
159	كالبذور المنثورة «رواية»	شوكت دلاّل
160	من وجد ديوان الوجد	خير الله سعيد
161	أصابع الموز «قصص قصيرة»	غسان الجباعي
162	امرأة واحدة «مجموعة قصصية»	كمالا قاسم العتمة
163	في السينما والتلفزيون «تأملات سينمائي»	قاسم حول
164	روزا «رواية»	كنوت هامسن



مصنع الأحلام

لن يكون بوسع أحد أن يقول أن هذا الكتاب سيسلط الضوء من قريب أو بعيد على السينما المعاصرة التي نعرفها، أو نعرف أسماء صانعيها الكبار، وهي السينما التي نذهب إليها ونحن في غاية الاحتشام والأناقة... وأحياناً النزق والطيش الجميلين اللذين يكملان علامات وإشارات لا تفخر فيها إلا هذه الأم الملهمة على مدى قرن بأكمله، وهنا تكمن القيمة التاريخية الفريدة لمرحلة، وإن لم تكن الأشهر في تاريخ السينما، فإنها كانت الأكثر حسماً في تطور الفن السابع وسياقاته الغامضة والجليّة في آن..!!

«مصنع الأحلام» بهذا المعنى يتطلب من قارئه مداراة اللغة التي جاء عليها الأديب والمؤرخ وعالم الاجتماع الروسي ايليا غريغورفيتش هرنبورغ (١٨٩١ - ١٩٦٧) ومداورتها في الوقت نفسه، فهي لغة مكلفة تؤكد أن صناعة الأحلام لم تكن صدفة ولدت عسفاً في صالة معتمة تعرض فقط لخيالات الممثلين والممثلات، فهنا أيضاً ستتردد أسماء كثيرة وقفت من وراء: بارامونت، وارنر برذر، فوكس القرن العشرين، وكوداك ايستمان صاحبة شريط الأحلام... الشريط الهادر باللون، والذي لا تنضب مخيلته منذ أن قرر أن يؤرخ لها بالذهب..!!







دار كنعان
للدراسات والنشر
والخدمات الإعلامية